الثوابت والأسس الإسلامية للنفس الإنسانية:
دراسة بين المفاهيم والآثار

د. فاطمة محمد علي واسلي رمضان
كلية التربية– أوباري– جامعة سبها– ليبيا

الملخص:

فضلّ الله الإنسان عن باقي مخلوقاته؛ ليعيش حياة كريمة، وأرشده إلى ما يقوّي به نفسه ويثبتها على ركائز إيمانية تحقق له التوازن النفسي والاستقرار والأمان؛ فلما غابت تلك الركائز عن حياة المسلم بات يعيش في تخبط واضطراب وعدم اتزان واستقرار ومن هنا تظهر مشكلة الدراسة المتمثلة السؤال مركزي وهو: ما الثوابت والأسس التي جاء بها الاسلام للنفس الإنسانية لتحقق له التوازن والاطمئنان النفسي، وهل النظريات العلمية الموثقة في علم النفس تتوافق مع الأسس التي جاء بها الإسلام لتحقيق التوازن النفسي لها. وتبرز أهمية البحث بأنه اتبين أهم التواثب والأسس الرئيسية التي يتعامل بها الإسلام مع النفس الإنسانية وآثارها على حياة الأفراد المجتمعات.

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي للوصول الي هدف الدراسة وهو إبراز أثر التواثب والأسس الإسلامية على النفس الإنسانية وذلك من خلال تحليل لركائز وبيان لمفاهيم العلمية المؤثرة على توازن واستقرار النفس الانسانية، واستخلصت الدراسة عدة نتائج أهمها :إن معرفة حقيقة التواثب وخصائصها تضئ طريق الإنسان في مسيرته نحو التوافق والتوازن والسعادة والطمأنينة. أنّ بعض النّظريات والقواعد التي وضعها علماء النّفس غير خاضعة للمنطق، فهي نظريات مجرّدة لا تحقق التوافق لديني والنفسي، بينت الدراسة أن شرع قانون الحساب والجزاء للإنسان على أعماله في الدنيا والآخرة، وتحقق الضمان الكامل للحقوق المادية والروحية للإنسان، وتكفل حماية المقومات أو المقاصد الضرورية، واختتمت الدراسة بعدة توصيات أهمها: **أوصي** بإنشاء مراكز تعني بالمجال النفسي في كافة المؤسسات الحكومية, وتوسيع نطاق المجال الدعوي بحيث لا يكون مرتكزاً في المساجد ودور تحفيظ القرآن. وأوصي الباحثين وأهل العلم بمزيد من التعمق في الدراسات التي تبين أثر الأسس الاسلامية في تهذيب سلوك شخصية المسلم.

كلمات مفتاحية : الأسس ،الركائز ،النفس، الإسلامية، الأثر.

المقدمة

فالشريعة الإسلامية تتعامل مع النفس الإنسانية بأنصاف؛ لتهذّب هذه النفس وتخلصها من عللها؛ فهي تخاطب عقل الإنسان ووجدانه، ليصل به إلى أعلى المستويات الرّوحية والخلقية، التي يسعي إليها كل مؤمن، وهى منزلة تتسم بالتوازن والاستقرار والاطمئنان النفسي, فالقرآن دين هدى تهتدى به القلوب الضالة والنفوس المضطربة والمنحرفة عن طريق الحق.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة بأنها تبزر أهم الثوابت والأسس الإسلامية الرئيسية التي يتعامل بها الإسلام مع النفس الإنسانية وآثارها على حياة الأفراد والمجتمعات، وتحلل الأسس الرئيسية التي تؤثر على اتزان الشخصية المسلمة.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في فيما تعيشيه الشخصية المسلمة اليوم من تخبط، فباتت لا تتسم بالتوازن والاستقرار بسبب عدم إدراك المفاهيم والآثار للأسس والركائز الإيمانية تحقق له التوازن النفسي، مما تقدم فأن إشكالية الدراسة تتمركز في السؤال الرئيس المتمثل في: ما الثوابت والأسس التي جاء بها الاسلام للنفس الإنسانية لتحقق له التوازن والاطمئنان النفسي، وما مدي تأثير ذلك على حياة الفرد والمجتمعات، وهل النظريات العلمية الموثقة في علم النفس تتوافق مع الأسس التي جاء بها الاسلام لتحقيق التوازن النفسي لها.

أهداف الدراسة:

فإن الهدف المرجو من كتابة هذا الموضوع هو غرس مكانة الإسلام وقيميه في نفس الشخصية المسلمة من خلال إبراز الثوابت والأسس التي جاء بها الاسلام للنفس الإنسانية، وتحليل الآثار المترتبة على فهم الركائز العلمية والعملية على حياة المسلم. وكذلك توضيح ما أهم النظريات العلمية في التعامل مع النفس.

المنهج المتبع في الدراسة:

للوصول إلى الهدف المرجو من كتابة هذا البحث سأستند على المنهج الاستقرائي والتحليلي لاستخراج أهم الركائز والأسس الاسلامية المؤثرة على استقرار وتوازن النفس الإنسانية

تقسيم الدارسة:

تمَّ تقسيم الورقة البحثية إلى مبحثين مختومة بنتائج وتوصيات للباحث. فقد بيّن المبحث الأول: مفهوم الثوابت والخصائص التي يتعامل بها الإسلام مع النفس الإنسانية، وحلل المبحث الثاني: الأسس الإسلامية للنّفس الإنسانية، بينما وضح المبحث الثالث: النظريات العلمية في التعامل مع النفس.

المبحث الأول: مفهوم الثوابت والخصائص التي يتعامل بها الإسلام مع النفس الإنسانية

مفهوم الثوابت: هي ما لا يقبل التغيير؛ فهي قواعد وركائز مستقرة ومستمرة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص، كقيّم ومعاني الأبوة والأمومة، والبنوة والأخوة ونحوها؛ والإسلام في عقيدته وعبادته وأخلاقه ثوابت لا تتغير مهما تطاول الزمان وتباعد المكان، وتآلف أو تنافر الأشخاص[1]، فالإسلام يتعامل مع النفس بثوابت وركائز ومسلّمات منها:

1- أنّ الله تعالى يعلم ما توسوس به نفس الإنسان للإنسان، فهو سبحانه أعلم بما فيها من أمراض، وبما تحتاج إليه من علاج، وعلم الله من الثوابت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [2]؛ "يخبر الله تعالى عن قدرته على الإنسان بأنّه خالقه، وعمله محيط به، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من خير وشر"[3]، وأخبرنا رسولنا الكريم- صلى الله عليه وسلم- أنّه لا حرج على من حدّث نفسه دون القول أو الفعل، فجاء عنه -ﷺ- أنه قال: **((إنّ الله تجاوز لأمّتي عمّا لم تتكلم به أو تعمل به، وبما حدّثت بها أنفسها))**[4].

2- من الثوابت التي يتعامل بها الإسلام مع النفس بأنّها عاقلة، ولم يكلفه ما يشق عليه أو يفوق طاقته، وجعل لهذا العقل قدرة على الفهم والتمييز بين الأشياء، نافعها وضارّها[5]، قال تعالى في ذلك: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾[6] جاء في تفسير التكليف: "الإلزام ممّا فيه كلفة أو

---

[1]- ينظر: محمود, علي عبد الحليم, النفس في الإسلام، مصر, القاهرة, دار النشر والتوزيع الإسلامية, ط1, 1426هـ, 2005م، ص321.

[2] - سورة ق، الآية [16].

[3] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط1، 1420هـ, 1999مج7، ص398.

[4]- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الوسوسة في الطلاق، رقم الحديث2209، مج3، ص532.

[5]- محمود، النّفس في الإسلام، مرجع سابق, ص321.

[6]- سورة البقرة، الآية [286].

مشقّة تُحتمل، "**إلا وسعها**": إلاّ ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها، "**لها ما كسبت**": من الخير، "**وعليها ما اكتسبت**": من الشر"[7].

3- ومن الثوابت الخاصة بالنّفس البشرية، أنّها مكرّمة؛ أي خصّها الله بالتكريم فقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ومن أفضل ما أكْرَم الله به ألآدمي العقْلُ الذي به يعرفُ الله تعالى، ويفهم كلامه، ويوصِّل إلى نعيمه. وهو دليله إلى ما غاب عنه من الحيل وغيرها.[8]

4- من الثوابت الإسلامية للنّفس: بأن شرع للإنسان قانون الحساب والجزاء على أعماله في الدنيا والآخرة ففرض الحدود سواء أكانت دنيوية :كحد السرقة والزنا والقذف. أو أخروية: وهي ما أوعد الله تعالى عليه العذاب كالقتل وعقوق الوالدين وأكل الربا، فإن تطبيق هذه الحدود تحقق الضمان الكامل للحقوق المادية والروحية للإنسان، وتكفل حماية المقومات أو المقاصد الضرورية الخمس وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.[9]

فشرع تطبيق حد الزنا لحفظ النسل، وحد القذف لحفظ العرض، وحد الخمر لحفظ العقل، وحد السرقة لحفظ المال, وحد الحرابة لحفظ النفس والمال والعرض، وحد البغي لحفظ الدين والنفس، وحد الردة لحفظ الدين.[10] كما له التأثير القويم في بناء المجتمع وسلامته واستقراره وأمنه، وتحقيق التربية الإسلامية وترسيخها في النفوس. [11]

---

[7]- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة،
مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ/2003م،ج1، ص279.

[8]- ينظر: الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ، ج3، ص486. وينظر: – الجرجاني, عبد القادر بن عبد الرحمن, درج الدرر في تفسير الآي والسور, تح: وليد أحمد بن صالح الحسين, إياد عبد اللطيف القيسي, بريطانيا, مانشستر, سلسلة إصدارات مجلة الحكمة, ط1, 1429هـ, 2008م، ج14، ص114. وينظر: نخبة من العلماء، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 1430هـ، 2009م، ص289.

[9]- ينظر: الذهبي، محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، مصر، مكتبة وهبة للنشر، وشركة الأمل للطباعة والنشر، ط2، 407هـ، 1986م، ص4، 5.

[10]- ينظر: الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، مرجع سابق، ص26، 29.

[11]- ينظر: الرومي، فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن في المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1420هـ، 2000م، ص 56، 57.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية تطبيق الحدود والقصاص في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾[12] والمعنى: ولكم في هذا الحكم الذي شرعه الله بقاء وحياة أن الرجل إذا علم أنه يقتل قصاصاً إذا قتل آخر كف عن القتل وانزجر عن التسرع إليه، والوقوع فيه، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية. [13]

فإن الإنسان محاسب لا محالة على أعماله فقال جلّ في علاه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[14]، من المفسرين من يرى أن معنى "يوم ندعوا كل أُناس بإمامهم": "يوم ندعو كل أناس بكتابهم الذي فيه أعمالهم التي قدموها، فلا ذكر للأنساب حينئذ لأنها مقطوعة، فلا يقال يا ابن فلان [15]

5- من الثوابت التي يتعامل بها الإسلام مع الإنسان، أنّه إذا تخلى عن منهج الله ونظامه يصبح كالمصاب بالعمى، ويكون أشدّ عمى في الآخرة، كما جاء في قوله :﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[16]، وجاء في تفسير الآية عدّة معانٍ منها: قيل من عميَ عن النّعم التي أنعم الله بها عليه في الدّنيا فهو عن نعم الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وقيل: من كان في الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه؛ بعثه الله يوم القيامة أعمى، ولا يجد طريقاً للهداية.[17] ولقد رُجّح أنّه عمى بصر؛ لأنّ السياق لا يدل إلاّ عليه؛[18] لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾[19].

---

[12]- سورة البقرة، الآية [179].

[13]- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، قدمه وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، بَيروت، صَيدَا، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، 1412هـ، 1992م، ج1، ص357.

[14]- سورة الإسراء، الآية [71].

[15]- ينظر: المراغي, حمد بن مصطفى المراغي, تفسير المراغي, مصر, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده, ط1, 1365هـ, 1946م، ج15، ص77. تم اقتباس النص بتصرف بسيط.

[16] - سورة الإسراء، الآية [72].

[17]- ينظر: الطبري، تفسير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آى القرآن "مرجع سابق، ج15، ص10. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج10، ص299. وينظر: نخبة من العلماء، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، مرجع سابق، ص289.

[18]- ابن القيم الجوزية, مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, لبنان, بيروت, دار الكتب العلمية, 1419هـ, 1998م، مج1، ص121.

[19]- سورة طه، الآية[125].

6- حذّرنا الله تعالى من اتباع أهل الكتاب لما فيه من الضلال والكفر، وهذا من الثوابت التي لا تتغيّر مهما أظهروا لنا الودّ والتعاون؛ فقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[20]

وقد يبيّن لنا القرآن الكريم الهدف الذي يصبوا إليه أعداء الإسلام؛ لكي تتوخّى النّفس المؤمنة الحذر والحيطة، و هو صرف المسلمين عن منهجهم الإسلامي القويم، أو الإرتداد عن دينهم، وهذا ما نلمسه يوم بعد يوم، وهو العمل الدّؤوب لأعداء الإسلام؛ ليتخلّى المسلمين دينهم، وخلقه ومنهجه ونظامه ومبادئه، فقال الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[21].

المبحث الثاني: الأسس الإسلامية للنّفس الإنسانية

تعامل الدين الإسلامي مع النّفس الإنسانية تعاملاً شاملاً متكاملاً، يتضمن جميع الجوانب التي تحيط بالإنسان, وما يؤثّر فيها من عوامل داخلية وخارجية، وما يحكمها من الفطرة السوية التي فطر الله عليها، وما يمكن أن تتأثّر به وتنحاز إليه من رغبات عديدة، وكل ذلك لكي يضبط تجاذب نوازع الخير والشر في النفس وينقله من الضّلال إلى الهدى بمحض إرادته وحرية اختياره، فوضع ديننا الإسلامي الحنيف جملة من الأسس تتعلق بالنفس أهمها:

الحريّة والاختيار: الإسلام يتعامل مع النّفس بوصفها حرّة مختارة، بعد أن أنعم الله عليها بنعمة العقل، ونعمة إرسال الرّسل الذين بلّغوا رسالتهم، ولم يعط لأحد منهم الحق في إكراه النّاس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[22]، "يُفهم من هذه الآية الكريمة حريّة الاعتقاد لكون التديّن قرين البحث الفكري والاقتناع العقلي، وذلك لأنّه "**قد تبيّن**": ممّا سُقناه من المعجزات وأوردناه من الآيات، "**الرّشد**": الصّواب، وهو الإيمان، "**من الغيّ**": الضّلال، وهو الكفر، "**فمن يكفر بالطّاغوت**"، الطّاغوت: الشيطان أو الأصنام، أو كل رأس في الضلال"[23]. وفي الآية

---

[20]- سورة آل عمران، الآية [100].

[21]- سورة البقرة، الآية [109].

[22]- سورة البقرة، الآية [256].

[23]- الخطيب، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ، 1964م, ج1، ص51.

دليل واضح وصريح على إبْطال صفة الإكراه على الدِّين بسائر أنواعه؛ لِأَنَّ أمر الإيمَان يَجْري على الاستِدلال، والتفكير والتمكين مِنَ النَّظر، بالاختِيار. [24]

وجاء في آية أخرى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴾[25]، والمعنى: "جاء الحق وزالت العلل؛ فلم يبقى إلاّ اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النّجاة، أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛" لأنّه لما مكن من اختيار أيّهما شاء؛ فكأنّه مخيّر مأمور بأن يتحرى ما شاء من النّجدين[26].

ومن القواعد أو الأساسيات التي يتعامل بها الإسلام مع الإنسان العدل والمساواة: وهذا الحق يكون بين النّاس جميعاً، بين الأفراد والجمعات، بين الحكّام والمحكومين، بين الولاّة والرّعية، لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أبيض ولا أسود، وإنّما التفاضل بين النّاس بالتّقوى.

فالتقوى هي المعيار الحقيقي الذي وضعه الإسلام للتفاضل بين الأنفس، ليس بالعرق ولا اللّون ولا الجاه أو السلطان أو القبيلة وغيرها من العصبيّات التي ما أنزل الله بها من سلطان[27]، اتّخذها ضعاف الأنفس؛ لتحقيق مصالح جهوية؛ فأدّت إلى انتشار الرّذيلة والمخالفات الشرعية، كضياع الحقوق والأمانات، وانتشار الرّشوة، وعدم الإنصاف للحق، بسبب اتّخاذ المعايير الخاطئة الباطلة المختلّة في التعامل بين النّاس، ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك المعيار في قوله جلّ شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[28]، أي: "إنا خلقناكم من أب واحد هو آدام، وأم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوباً وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضاً".[29]

وقال رسولنا الكريم –ﷺ–: **((أيّها النّاس ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتّقوى**

---

[24]– ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج3،ص26. تم اقتياس النص بتصرف بسيط.

[25]– سورة الكهف، الآية [29].

[26]– الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، مج2، ص719.

[27]– محمود، النفس في الإسلام، مرجع سابق، ص327.

[28]– سورة الحجرات، الآية [13].

[29]– نخبة من العلماء، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، مرجع سابق، ص517.

أَبَلَّغْتُ؟ قالوا بلّغ سول الله صلى الله عليه وسلم...))[30]، وفي شأن العدل قال –ﷺ–: **((والذي نفس محمد بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))**[31].

وإنّ للعدل مظاهر كثيرة في الحياة اليومية، فهو محل للتطبيق العملي في حياة المسلم، كالعدل بين الأنبياء، والعدل بين الزوجات، والعدل في المنح والعطايا، والعدل في العقوبات وغيرها من الأمور إذا تم تطبيقها كما أرادها الله سوف تسمو بالنّفس وتضبطها وتوجهها نحو الصلاح.

ومن القواعد المسلّم بها التي وضّحها لنا القرآن على النّفس أنّها ليست ملائكية ولا شيطانية" فالنفس تخطئ وتصيب. تطيع حيناً، وتقع في المعصية حيناً آخر، وهذا ما قرّره القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾[32]، الآية تدل على أنّ النّفس قد تخطئ وتنسى، وقد نبّه الله سبحانه وتعالى رسوله بقوله: **"واحذرهم أن يفتنوك"**، ففسّر بعض أهل العلم أنّ "في الآية دليل على أنّ الخطأ والنّسيان جائزان على النّبي– ﷺ–، وأنّ التعمّد في مثل هذا غير جائز، فلم يبق إلاَّ الخطأ والنّسيان، فلو لم يكونا جائزين أيضاً لم يكن للحذر فائدة"[33]، وفسر قوله: "واحذرهم أن يفتنوك": أي يصدونك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه، فيحْمِلوك على ترك العمل به واتباع اهوائهم. [34]

وكذلك يبيّن لنا رسولنا الكريم في كثير من الأحاديث أنه ليس معصوماً من الذّنب والخطيئة، ولا بدّ من الوقوع في بعض مزالق الشيطان وحباله، وبيّن لنا في الوقت ذاته كيفية المبادرة وتدارك ذلك الخطأ بقوله– ﷺ–: **((كل بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون))**[35].

عندما أقرّ الإسلام بعيوب وتقصير النّفس، ووقوعها في المعاصي، فجعل العلاج وسيلة من ضمن الثوابت أو القواعد المسلّمة في التعامل معها: وهو فتح باب الاستغفار والتوبة، فقال جلّ شأنه في

30– أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث 23885، مج5، ص411.

31– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب من شهد بالفتح، رقم الحديث4053، مج4، ص1566.

32– سورة المائدة، الآية [49].

33– النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، مج2، ص601. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، مج6، ص213.

34– ينظر: الطبري، تفسير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آى القرآن"مرجع سابق، ج8، ص501.تم اقتباس النص بتصرف بسيط.

35– أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث13080، مج3، ص198.

كتابه العزيز: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[36]، فمن رحمته الواسعة أنّ باب التوبة مفتوح أمام هذه النّفس الضعيفة المذنبة؛ فما عليها إلاّ أن تسارع إلى التوبة، وطلب المغفرة من الغفّار، قال رسولنا –ﷺ–: **((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجلاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم))**[37]، وثبت في حديث آخر عنه ﷺ أنّه قال: **((إنّ عبداً أصاب ذنباً فقال، رب أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال ربّه: أَعلِم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثمّ مكث ما شاء الله، ثمّ أصاب ذنباً فقال أذنبت آخر فقال: أعلِم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ به؟ غفرت عبدي، ثمّ مكث ما شاء الله، ثمّ أذنب ذنبا فقال رب أذنبت آخر فاغفر لي فقال: أَعلِم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذّنب ويأخذ به؟ غفرت لبدي فليعمل ما شاء الله))**[38].

من خلال العرض السابق، نتوصل إلى أنّ الله خلق النّفس البشرية، وأودع فيها القدرة على عمل الخير وعمل الشر، وأمدّ الإنسان بثوابت وقواعد وعوامل تساهم في إصلاح وثبات نفسه على التّقوى، فمن تلك العوامل أنّه جعل التفاضل بين النّاس بالتّقوى والعمل الصالح، وبهذا يحرص الإنسان على جوهره الدّاخلي ومراقبته، وكذلك جعل المساواة والعدل بين النّاس في التعامل فيما بينهم، وبذلك يتحقق الرضى والقناعة في نفس الإنسان، وبيَّن من أنّ النّفس خطّاءة وبذلك تحصل الرّاحة عندما يدرك المسلم أنّ نفسه مجبولة على ذلك؛ فيُخفَّف عنه الضيق النّفسي، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنّه جعل باب التوبة مفتوح لطارقه، وما على المسلم إلاّ المبادرة والي السّعي لمرضاة الله وتجنّب سخطه، ولا يتحقّق ذلك إلاّ بنفس تخاف الله في السرّ والعلن.

المبحث الثالث: النظريات العلمية في التعامل مع النفس

لقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بدراسة النّفس الإنسانية، وتوصّلوا إلى نظريات وقواعد تختص بها، ومن خلال تتبع وقراءة بعض الكتب التي تتحدث عن النفس لاحظت معظمها بينت سلوك النفس وضعوا لتلك السلوك قواعد علمية ونظريات توضح كيفية التعامل مع سلوك النفس الإنسانية. وسوف نوضح في هذا المطلب أهم ما جاء به بعض الفلاسفة وعلماء النفس من نظريات حول سلوك الإنسان.

---

[36]- سورة طه، الآية [82].

[37]– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم الحديث2749، مج4، ص2106.

[38]– أخرجه النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، رقم الحديث7608، مج4، ص270.

من القواعد التي وضعها علماء النّفس: أنّ سلوك الإنسان يقبل التفسير؛ أي له أسباب وشروط يمكن تحديدها، والهدف هو الكشف من خلال الدراسة العلمية المنظّمة والمرتبة عن جوانب الغموض في السلوك الإنساني. [39]

وتختلف دراسة السلوك من الرجل والمرأة، فيرى بعض علماء النّفس أنّ الذكور أكثر عدواناً من الإناث، وأنّ الإناث أكثر تفوق في القدرات اللّفظية التي تتطلب طاقة لغوية، والإبداع اللّفظي، وأنّهم يتفوّقون عليهنّ في القدرات الحسابية، وأنّ الذكور أكثر حباً للسيطرة من الإناث[40].

ويضيف فرويد أنّ حظ النّساء من النّرجسية، وحب الذّات أكثر من حظ الرجال، وهنّ مدفوعات إلى الغلو في إظهار محاسنهنّ الجسمية تعويضاً لاحقاً عما لديهنّ من نقص جنسي أصيل، أمّا ما يظهرن به من حياء فما هو إلاّ ذريعة تُصطنع أصلاً لستر ما بأعضائهنّ التناسلية من نقص[41].

أمّا النظرة الدينية للرجل والمرأة، فهي تختلف عن ذلك في بعض الجوانب، خلق الله الرجل والمرأة من نفس واحدة، فالمشاعر التي يشعر بها الرجل تشعر بها المرأة، والقيم التي يسمو إليها الرجل تسمو إليها المرأة؛ فقال جلّ شأنه في كتابه العزيز: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [42].

فهي متساوية مع الرجل في التشريف والتكاليف الشرعية إلاّ أنّ الرجل له دور أكبر منها؛ لأنّ الشرع خصّه بالقِوَامة، أمّا الجانب النّفسي للمرأة فالمرأة أكثر عاطفة فهي تُغلِّب الجانب العاطفي على الجانب العقلي؛ ولهذا نجد رسولنا الكريم– صلى الله عليه وسلم– يرشد إلى عدم ظلمها وإهانتها فقال: **((استوصوا بالنّساء خيراً، فإنّ المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإنّ أعوج ما في الضلع أعلاه))**[43]؛ أي لابدّ أن يكون في تصرُّفاتها شيء من العوج، وفي حديث آخر قال– ﷺ–: **((ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكنّ))**[44].

---

[39]– عبد الستار, إبراهيم, الإنسان وعلم النفس، الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م،، العدد86، ص23.

[40]– عبد الستار, وعلم النفس، مرجع سابق، العدد86، ص23.

[41]– عبد الستار،الإنسان وعلم النفس، مرجع سابق، العدد86, ص21.

[42]– سورة النساء، الآية [1].

[43]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى، رقم الحديث3153، مج3، ص1212.

[44]– أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم الحديث298، مج1، ص116.

وبذلك نجد أنّ القرآن قد سبق في تحليل نفسية الرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[45] هو الرد الأنسب على فرويد الذي جعل حياء المرأة تعويض لنقصها، فالحياء جِبلة خُلقت عليها المرأة وتزداد مكانتها شرفاً به. ولقد بيَّن الإمام الشعراوي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية مكانة المرأة فقال: "إن هذه الأنثى لها شأن عظيمK فقد أعطاها الله مساندة عقائدية إيمانية، تتجلى هذه المساندة في طلاقة قدرته، فإن نية امرأة عمران في الطاعة أن يكون المولود ذكراً، وشاء قدر الله أن يكون أسمى من تقدير امرأة عمران في الطاعة؛ لذلك قال: "وليس الذكر كالأنثى".أي أن الذكر لن يصل إلى مرتبة هذه الأنثى." [46]

ودرس ابن حزم، والغزالي، وابن تيمية، وابن القيم علاج السلوك المذموم أو الخُلق السيء بضده، وهو أسلوب اتبعه المعالجون السلوكيون المحدثون في علاج بعض الاضطرابات السلوكية، مثل الخوف والقلق[47].

فعلم النّفس هو علم يبحث في سلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم من حيث هو مظهر للظواهر النّفسية، وفائدة ذلك معرفة العقد النّفسية وأثرها في الحياة العقلية والجسمية، وتساعد على معرفة نفسية المجرم، والدّوافع التي تدفعه إلى الإجرام، وتبيّن طرق المعالجة[48].

وإنّ دراسة سلوك الإنسان تبيّن كيف يتعامل المرء مع زملائه وكيف يكسب محبّة الآخرين، وكيف يُوفّق المرء في حياته الزوجية، وكيف يُربّي أطفاله تربية صحيحة، وكيف يلائم الفرد بين شهواته ورغباته وتقاليد مجتمعة، وغيرها من الجوانب التي تشمل مرافق الحياة كلها[49].

فالقرآن الكريم بين سلوك الإنسان ودوافعه، دوافع تسد حاجات البدن، وتسد كل ما يطرأ عليه من نقص، فإذا اختلّ الاتّزان اللاّزم لحفظ البدن، كقِلَّة الغذاء أو الدم أو الماء مثلاً في أنسجة البدن، أو زادت حرارته أو برودته، انبعث في البدن فوراً دوافع معيّنة تدفع الفرد إلى القيام بالنّشاط اللازم؛

---

[45]– سورة آل عمران، الآية [36].

[46]– ينظر: الشعراوي, محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعراوي, راجعة وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم, مصر, أخبار اليوم, إدارة الكتب والمكتبات بقطاع الثقافة, 1411هـ, 1991م،مج1، ص1437. تم اقتباس النص بتصرف.

[47]– نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند علماء المسلمين، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1414هـ، 1993م، ص9.

[48]– ينظر: عويضة، كامل محمد محمد، علم نفس الشخصية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، 1996م، ص6، 7.

[49]–ينظر: عويضة، علم نفس الشخصية، مرجع سابق، ص7.

لإعادة البدن إلى حالته السابقة من الاتزان، ويُقصد بالدوافع "القوة المحرِّكة التي تبعث النشاط في الكائن الحي، وتبدي السلوك وتوجهه نحو الهدف المعين"[50]، وفكرة الاتزان الحيوي هذه التي اكتشفها العلماء حديثاً، قد ذكرها القرآن من قبل أربعة عشر قرناً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾[51].

أي إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم المقدار الذي يحتاج إليه الناس، وينتفعون به، فيُنبت تعالى في الأرض ذلك المقدار، والوزن: يُراد لمعرفة المقدار، فكان إطلاق لفظ الوزن لإرادة معرفة المقدار،[52] أي: إن كل شي خلقه الله مقدر بقدر,[53] "فأنبت سبحانه من الأرض كُلَّ شيء موزون بدقّة تناسب الجو والبيئة، ويضم العناصر اللازمة لاستمرار الحياة".[54] يتأكّد بقوله أيضاً: ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[55]، والمقدار هو: "الكمية أو الكيف؛ زماناً أو مكاناً، أو مواهب ومؤهلات".[56] فهو لفظ عام في كل ما يدخله التقدير كالغيب والشهادة.[57]

وكذلك وضح القرآن الكريم الدوافع التي تدفع بالإنسان إلى السلوك الظاهر مثل: دوافع لحفظ الذّات، كالجوع والعطش والحرارة، والدافع الجنسي، ودافع الأمومة، ودافع بقاء النّوع.[58]

ونجد حقيقة نفسية من العالم فرويد تقول: " إنّ الحياة النّفسية للإنسان ليست حيوانية فحسب، ولكنّها تتبع كلها من الجنس المسيطر على كل أفعال الإنسان، وإنّ مَردَّ السلوك الإنساني إلى الغريزة الجنسية التي تحكمه وتسيطر على نشاطه، وإنّ الجانب المسمّى بالرّوح لا وجود له على

50– نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص27–28.

51– سورة الحجر، الآية [19].

52– الرازي, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري, مفاتيح الغيب "التفسير الكبير", بيروت, دار إحياء التراث العربي, ط3, 1420هـ، ، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، مرجع سابق مج16، ص131.

53– ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي للنشر، ط1، 1430هـ، ج12، ص569.

54– الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، مج12، ص7670.

55– سورة الرعد، الآية [8].

56– الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، مج12، ص7230

57– ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج3، ص362. وينظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق،ج9، ص289.

58– ينظر: نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص38–39.

الإطلاق، وإنّ القيّم العليا في نظر فرويد كلها خرافية، وإنّ الدين والأخلاق ليسا قيَّماً أصلية في الحياة البشرية"[59].

ونلاحظ أنّ نظرية فرويد النّفسية بعيدة عن الصواب، فالنّفس الإنسانية قادرة على أن تسيطر وتضبط رغباتها من خلال إيمانها بالله وخشيته منه، ومن خلال إيمانها بالمسؤولية والمحاسبة والالتزام الأخلاقي وبيقينها بأنّ هناك حساب وجزاء في اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[60]

وتفسير هذه الآية هو: "في يوم القيامة يوم الجزاء تجد كل نفس ما عملت من خير ينتظرها موفرًا لتُجزَى به، وما عملت من عمل سيِّئ تجده في انتظارها أيضًا، فتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل زمنًا بعيدًا. فاستعدوا لهذا اليوم، وخافوا بطش الإله الجبار ومع شدَّة عقابه فإنه سبحانه المتصف بكمال الرحمة بالعباد."[61] فإنّ الإسلام يُلفت وينبّه النّفس إلى هذا، ويدعوها إلى الضبط وعدم الانحدار نحو مطامعها.

ويرى بعض الباحثون أنّ طريقة "كبت النفس" تهذب طبيعة الكائن الإنساني، وهو ما عرفته الفلسفة المسيحية الأوربية: إعطاء هذه النّوازع فرصة الممارسة مع تمكينها من الفضيلة[62].

ولقد وضح الإسلام ضابطاً يدعو إلى السيطرة على النّوازع والتحكّم فيها، وذلك عن طريق إشباع النفس رغبتها الجنسيّة بالطريق المشروع وهو الزّواج[63]، وإذا لم يتمكن أو ليس بمقدور المرء أن يتزوج فدلَّهُ رسولنا الكريم على طريق آخر يحدّ من رغبته وتحصنه من الوقوع في الفاحشة فقال:

---

[59]– الجندي، أنور، التفسير الإسلامي للفكر البشري، الإيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، ص120.

[60]– سورة آل عمران، الآية [30].

[61]– نخبة من العلماء، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، مرجع سابق، ص54. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق،ج4، ص59. ينظر:الطبري، تفسير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آى القرآن"مرجع سابق، ج5، ص322.

[62]– الجندي، أنور، التفسير الإسلامي للفكر البشري، مرجع سابق، ص141.

[63]– نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ص87.

((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[64] فليتزوج، فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وِجاء[65]))[66].

وقد ذكر الإمام الغزالي–رحمه الله– أنّ من فوائده: " مجاهدة النّفس ورياضتها بالرعاية والولاية؟ والقيام بحق الأهل، والصبر على أخلاقهنّ –أي النساء– واحتمال الأذى منهنّ، والسعي في إصلاحهنّ، وإرشادهن إلى طريق الدين..."[67]

ومن القواعد والنّظريات التي وضعها علماء النّفس: أنّ هناك تناقض وصراع دائم بين المادة والرّوح في التكوين النّفسي للإنسان، ويسمّونه بمبدأ القطبية، الذي يتمثل في التعارض القائم بين الأشياء، كما في المادة والرّوح، فهما مظهرين لحقيقة واحدة لا هي مادية حصراً ولا روحية فقط "[68].

ونجد أنّ القرآن الكريم تحدث عن صفات النّفس الإنسانية بين هذه الازدواجية التي ذكرها العلماء، ووضح أنّ الإنسان مخلوق مزدوج التكوين، فهو أصل مادي وأصل روحي، قال تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [69]، "فالطين هو الجانب المادي، والرّوح هو الجانب المعنوي المشرق فيه، حياة الأول بالأشربة والمطعومات، وحياة الثاني بالطاعات والعبادات"[70]

---

64 – **الباءة:** النكاح؛ أي من وجد مؤن النكاح فليتزوج. ينظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، معجم المصطلحات الإسلامية في مصباح المنير،مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 1423هـ، 2002م، ص36–37.

65– **الوجاء:** من الوجء: وهو أن ترض أُنْثيا الفحل؛ ليذهب شهوة الجماع، وأنّ الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء. ينظر: بن منظور, محمد بن مكرم بن علي, أبو الفضل، لسان العرب، لبنان, بيروت، دار صادر، ط3, 1414هـ،فصل الواو، مج1، ص191.

66– أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب لمن تاقت نفسه، ووجد مؤنة، رقم الحديث1400، مج2، ص1018.

67– أبو زهرة، محمد، الأحوال الشخصية، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ط3، 1377هـ، 1957م، ص20–21.

68– ينظر: يونغ، ك، غ، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة، سورية، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، 1917م، ص11.

69– سورة الحجر، الآية [29].

70– الشلش، محمد محمد، حديث القرآن الكريم عن النفس، رام الله، جامعة القدس المفتوحة، مجلة ينابيع، منشورات دائرة العلاقات العامة، نيسان2014، العدد 5، ص46–47. وينظر: قطب، دراسات في نفس الإنسان، مرجع سابق، ص34–35.

وكذلك يبيّن القرآن الصراع القائم بين المادة والرّوح، وهي الازدواجية في استعداد الإنسان لقبول التقوى والفجور، والهداية والغواية، والخير والشر[71]، فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [72].

وتفسيرها: أي سوَّى الإنسان في أحسن تقويم، وجعل في نفسه قوة ظاهرة وباطنة، ووهبه العقل ليميّز بين الخير والشر، وألهمه: أي عرّفه بطاعتها ومعصيتها، وما ينجيها وما يرديها، والفلاح لمن طهَّرها وأصلحها، والخسران لمن نقضها، ومعنى: "**من دسّاها**" أي التدسيّة وهي: النقض والإلهاء لمن طاوع هواها"[73].وفسرت الآية أيضاً بالله هو الذي سوَّى النفوس, وبيّن لها ما ينبغي أن تأتي وتذر من خير وشر وطاعة ومعصية. قد أفلح من نمَّى الله نفسه فكثرها بتطهيرها من الكفر والمعاصي, وأصلحها بالصالحات من الأعمال, وقد خاب من دسَّس الله نفسه فأخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله". [74]

الخاتمة

هذا ما يسَّره الله تبارك وتعالى لي في جمع المعلومات الخاصة بهذا الموضوع، ومهمة لكل مسلم يسعى للوصول حياة تسودها الاستقرار والاطمئنان, فتوصلت بذلك إلى عدّة نتائج وتوصيات يمكن إجمالها فيما يلي:

نتائج الدراسة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ما يلي:

1- نتوصل إلى أنّ بعض النّظريات والقواعد التي وضعها علماء النّفس يعتريها النّقص والخطأ، وأنّها غير خاضعة للمنطق، فهي نظريات مجرّدة لا تحقق التوافق الديني والنفسي، ولا تصل بالنّفس الإنسانية لدرجة السُمو التي تليق بها، مثلما يوصلها القرآن الكريم الذي﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(75)، فهو حافل بالآيات القرآنية والمواعظ الجليّة

---

[71]- الشلش، القرآن الكريم عن النفس، مرجع سابق، العدد5، ص46-47.

[72]- سورة الشمس، الآية [7-10].

[73]- ابن الخطيب، أوضح التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص751.

[74]- ينظر: الطبري، تفسير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آى القرآن"مرجع سابق، ج24، ص444-443. تم اقتباس النص بتصرف. وينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ، ج5، ص547.

[75]- سورة فصلت، الآية [42].

والإرشادات المفيدة، التي تُمِدُّ بها النّفس لتهديها إلى الطريق الذي لو سلكته وصلت إلى المبتغى، وهو مرضاة الله.

2- وضحت الدراسة بان الإسلام يتعامل مع النفس بثوابت وركائز ومسلّمات منها:

أ- إن الله تعالى يخبر عن قدرته على الإنسان بأنّه خالقه، وعمله محيط به، حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من خير وشر، ومن رحمته أنه لا يعذب النفس عند وسوستها ما لم تفعل أو تتكلم. وأن هذه الركيزة تجعل المسلم في مراقبة دائمة لحديث نفسه فلا تجره للمهلكات.

2- أكدت الدراسة أن الإنسان مناطاً للتكليف ولم يكلفه الله بما يشق عليه أو يفوق طاقته، ومن ذلك يستمد المسلم قوته وثباته وإصراره على الاستمرار على فعل الطاعات والأعمال الصالحة.

3- أوضحت الدراسة أن الثوابت الخاصة بالنّفس البشرية، أنّها مكرّمة ومن مظاهر ذلك التكريم: أعطى الله تعالى الإنسان إرادة حُرَّةً، ونفساً عزيزة، ومن هنا فإنّ الإنسان لا يُمكن تطويعه إلَّا إذا أراد هو أن يكون دمية بيد الآخرين، يعبثون به، ويتحكمون بإرادته كيفما شاءوا، ووقتما أرادوا.

4- بينت الدراسة أن شرع قانون الحساب والجزاء للإنسان على أعماله في الدنيا والآخرة، و تحقق الضمان الكامل للحقوق المادية والروحية للإنسان، وتكفل حماية المقومات أو المقاصد الضرورية الخمس وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، ولا يمكن لأي مجتمع مسلم أن يقوم مستقرًّا إلا بتحقيق مبدأ الثواب والعقاب في أوساطه.

توصيات الدراسة:

من خلال نتائج الدراسة توصي الباحثة بالآتي:

1- إعداد مشاهد مصورة قصيرة عبر وسائل الاتصال الاجتماعي بشكل مستمر يبين من خلالها الأمور التي تساهم في خلق التوازن والاستقرار النفسي للشخصية المسلمة كدور العبادات وإقامة الحدود.

2- أوصي بإنشاء مراكز تعنى بالمجال النفسي في كافة المؤسسات الحكومية، وتوسيع نطاق المجال الدعوي بحيث لا يكون مرتكزاً في المساجد ودور تحفيظ القرآن.

3- العمل على إنشاء مراكز للدراسات والأبحاث في ليبيا عامة تقوم على إقامة المؤتمرات والندوات العلمية في المجالين النفسي والدعوي، وإقامة المحاضرات والندوات العامة والدورات التدريبية لرفع القدرات النفسية ، مثال: الدولة الليبية تمر بحالة حرب خلفت أزمات نفسية فى جميع فئات المجتمع

الليبي، وتسببت في اضطراب التوازن الشخصية الليبية، فأصبح الاهتمام بالجانب النفسي والدعوي للمجتمع الليبي ضرورة ملحة نظراً لحاجة المجتمع الليبي في هذه المرحلة.

ألمصادر والمراجع:

1- إبراهيم، رجب عبد الجواد، معجم المصطلحات الإسلامية في مصباح المنير مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 1423هـ، 2002م.

2- ابن القيم الجوزية, مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, لبنان, بيروت, دار الكتب العلمية, 1419هـ, 1998م.

3- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، تونس, الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

4- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط1، 1420هـ, 1999م.

5- أبو زهرة، محمد، الأحوال الشخصية، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ط3، 1377هـ، 1957م.

6- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر "صحيح البخاري"، تح: مصطفى ديب البغا، بيروت, اليمامة, دار ابن كثير، ط3، 1407هـ,1987.

7- بن منظور, محمد بن مكرم بن علي, أبو الفضل، لسان العرب، لبنان, بيروت، دار صادر، ط3, 1414هـ.

8- الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ.

9- الثعلبي, أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق, الكشف والبيان عن تفسير القرآن, تح: الإمام أبي محمد بن عاشور, لبنان, بيروت, دار إحياء التراث العربي، ط1, 1422هـ, 2002 م.

10- الجرجاني, عبد القادر بن عبد الرحمن, درج الدرر في تفسير الآي والسور, تح: وليد أحمد بن صالح الحسين, إياد عبد اللطيف القيسي, بريطانيا, مانشستر, سلسلة إصدارات مجلة الحكمة, ط1, 1429هـ, 2008م.

11- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ/2003م.

12- الجندي، أنور، التفسير الإسلامي للفكر البشري, الإيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، دار الاعتصام.

13- الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ، 1964م.

14- الذهبي، محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، مصر، مكتبة وهبة للنشر، وشركة الأمل للطباعة والنشر، ط2، 407هـ، 1986م.

15- الرازي, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري, مفاتيح الغيب "التفسير الكبير", بيروت, دار إحياء التراث العربي, ط3, 1420هـ.

16- الرومي، فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن في المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الثوبة، ط1، 1420هـ، 2000م.

17- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ.

18- الشعراوي, محمد متولي الشعراوي, تفسير الشعراوي, راجعة وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم, مصر, أخبار اليوم, إدارة الكتب والمكتبات بقطاع الثقافة, 1411هـ, 1991م.

19- الشلش، محمد محمد، حديث القرآن الكريم عن النفس، رام الله، جامعة القدس المفتوحة، مجلة ينابيع، منشورات دائرة العلاقات العامة، نيسان2014، العدد 5، ص46-47.

20- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ.

21- الطبري, أبي جعفر الطبري محمد بن جرير الطبري, تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آى القرآن", تح: عبد الله بن عبد الله التركي بالتعاون مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية, مصر, القاهرة, دار هجر, ط1, 1322هـ, 2001م.

22- عبد الستار, إبراهيم, الإنسان وعلم النفس، الكويت, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م.

23- عويضة، كامل محمد محمد، علم نفس الشخصية، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، 1996م.

24- القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، مصر, القاهرة, دار الكتب المصرية، ط1، 1384هـ, 1964م.

25- قطب محمد، دراسات في النّفس ألإنسانية, مصر, القاهرة، دار الشروق، ط10، 1414هـ,1993م.

26 - القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، قدمه وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، بَيروت، صَيدَا، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1412هـ، 1992م.

27- محمود, علي عبد الحليم, النفس في الإسلام، مصر, القاهرة, دار النشر والتوزيع الإسلامية, ط1, 1426هـ, 2005م.

28- المراغي, حمد بن مصطفى المراغي, تفسير المراغي, مصر, شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده, ط1, 1365هـ, 1946م.

29- نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند علماء المسلمين، مصر، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1414هـ، 1993م.

30- نخبة من العلماء، إشراف: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، التفسير الميسر، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط2، 1430هـ، 2009م.

31- النيسابوري، أبو الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الطهماني, المستدرك على الصحيحين, تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت, دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ,1990م.

32- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان, بيروت: دار إحياء التراث العربي.

33- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.

34- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي للنشر، ط1، 1430هـ. يونغ، ك، غ، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة، سورية، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، 1917م.